فطرية العقيدة فى طبيعة الإنسان

تأليف الدكتور
ابراهيم عبد الشافى ابراهيم
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين
جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

خلق الله الانسان ، وفضله على كثير من خلقه ، وسخر له مافى السموات والأرض جميعا منه ، وهذا الانسان خلقه الله ـ تعالى ـ لمهمة ، وهى : أن يكون خليفته فى أرضــه ، يعرفه على بينة ، ويعبده ولا يشرك به شيئا ·

وقد خلق الله فى الانسان شعورا فطريا قائما وموجودا فى كل نفس بالاعتراف بوجود سلطان غيبى هو سلطان الله ـ تعالى ـ وكان من رحمتــه سبحانه أن حفظ للنــاس هذه الفطرة تعمل وتدرك وتستقبل مهما حاول الانسان طمسها أو افسادها ·

انها شعور موجود فى أعماق الانسان وخلجات نفسه ، وفى الكون من حوله ·

ان هذا الشعور الفطرى فى نفس الانسان من أقوى الأدلة الصادقة على وجود الله ـ سبحانه ·

فمن الذى حرك القلوب بنبضات الحيــاة ؟ ومن أبدع الحنان فى قلوب الأمهات ؟ من أجرى الأنهار وأنبت الثمار ؟ من وهب الحياة وما تزدهر به ؟ ·

ان الأم لتشعر بعاطفة الأمومة دون طلب البرهان على وجودها ، وسواء أعلمت أن السر فى ذلك حفظ الطفل بالرعاية والتربية أم لم تعلم .

ونحن نشعر بوجود روح فينا ، فندافع عنها ، ونحرص عليها دون أن نحس بها باحدى حواسنا الظاهرة .

ثم ألسنا نشعر فى قرارة أنفسنا بالوجدانيات والعواطف كالحب والبغض والرغبة والكراهية ؟ فما الدليل عليها ؟ هل نستطيع أن نقيم عليها دليلا أكثر من أننا نشعر بها ، وهى حق لا شك فيه ؟

ان احساس الانسان وشعوره بوجود الخالق ، وتلهفه دائما لمعونته وامداده وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير الى قدرته وعلمه وحكمته هو فى الحقيقة احساس فطرى صادق، وهذا الاحساس من أكبر الأدلة على وجود الله سبحانه (١) .

والفطرة التى خلقها الله تتعامل من الكون ومع الآيات المبثوثة فيه ، لأن كل ما هو فى الكون بفطرته يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وكل ما فى الكون خاشع له - سبحانه - ومسبح بحمده .

والفطرة التى خلقها الله أيضا عابدة له على الاستقامة،

---

(١) راجع : دراسة فى علم العقيدة الاسلامية فى ضوء الكتاب والسنة ص ٢٢٩ أحمد على الملا - مطبعة الفجر بدمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

الا أنهـا تتعرض للانحـراف والافسـاد تحت تأثير الهوى النفسى ، أو الأفكار المنحرفة ، أو البيئات الفاسدة ٠

واذا كانت هناك عوامل قد ساعدت على انتشار الالحاد فى العالم ، فان هذا الالحاد فى حقيقته دخيل على الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والأفكار الالحادية معظمها نشأ تحت ضغط الظروف الاجتماعية والاقتصادية ٠

ولقد أوجد الالحاد فى داخله فراغا أودى به الى هوة سحيقة ، وهذا الفراغ جعل الملاحدة يضطربون ويتخبطون ، وهم يشاهدون أن البنـاء الذى يقيمونه سرعان ما ينهـار ، فراحوا يلتمسون قوة يسندون اليها هذا الوجود ، ويضيفون اليها ما عجز العقل عن ادراك حقيقته ٠

وطبيعى أن تضيـيق الحيـاة فى وجـه أولئك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولسوف يتجرعون أعظم غصة ويذوقون أقسى محنـة ، وما ظلمهم الله ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون ٠

ومهما كثرت فى العالم تيارات الالحاد والزندقة ، فان الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها ـ ستظل أقوى من كل هذه القوى الهشة التى سرعان ما تنهار وتزول « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ٠

دكتور

ابراهيم عبد الشافى ابراهيم

معنى الفطـرة

الفطرة فى اللغة لها معان كثيرة ، منها : البدء والخلق والدين ، وقد جاء فى تاج العروس : فطر الله الخلق يفطرهم : فطر خلقهم وبدأهم ، وفطر الأمر : ابتـدأه وأنشأه ، ومنـه قول ابن عبـاس - رضى الله عنهما - ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقـال أحدهما : أنا فطرتها : أى ابتـدأت حفرها ، والفطرة بمعنى الخلقة [١] .

وفى لسـان العرب لابن منظور : أن الفطرة هى الكلمة التى يصير بهـا العبد مسلما ، وهى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسـول الله جاء بالحق من عنـده فتـلك الفطرة الدين [٢] .

ويؤيد هذا ما رواه البخارى عن البراء بن عازب قال : قال النبى ﷺ :

« اذا أتيت مضجعك فتوضـأ وضوءك للصـلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجـأ ولا منجا منك الا اليـك ، اللهم آمنت بكتابك الذى

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ص ٤٧٠ .

(٢) لسان العـرب لابن منظور المجـلد الخامس ص ٥٥ - ط ٠ دار المعـارف .

أنزلت وبنبيك الذى أرسلت فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به » قال : فرددتها على النبى - ﷺ - فلما بلغت « اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت » قلت : ورسولك قال : لا ونبيك الذى أرسلت » فقول النبى - ﷺ - : « فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة أى على الدين » (٣) .

وذهب بعض العلماء الى أن الفطرة هى الملة ، وبعضهم يرى أنها التوحيد .

وقيل : ان المراد بالفطرة : قابلية الحق ، والتهيؤ النفسى لادراكه (٤) .

ومنهم من قال : ان المراد بالفطرة : الاسلام بعقائده ومعاملاته .

ومنهم من قال : انها المعرفة ، والاستعداد لها ، والتهيؤ لقبولها (٥) .

المقصود بالفطرة :

الفطرة شعور موجود ومتأصل فى نفس الانسان ،

---

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ص ٣٥٦ - باب الوضوء .

(٤) التفسير الوسيط ١/١٠٢ د. محمد السيد طنطاوى - مطبعة السعادة - الطبعة الثالثة ١٩٨٩ .

(٥) يراجع المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار - جـ ١٢ النظر والمعارف ص ٢٣١ - ٢٦١ تحقيق د. ابراهيم مدكور ، د. طه حسين المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

وهذا الشعور - معنـاه : أن هنـاك قوة يشعر بها الانسان في داخل نفسه عندما يتحرر - مختارا - من سلطان الأهواء والأوهام والانغماس في ظلمات المـادة ، وقد تظهر هـذه الفطرة جلية حينما يقـع الإنسان في شدة ، أو تلم به كارثة ويعجز عن الخلاص منها فيلجأ الى خالقه يطلب منه العون والنجـاة .

الفطرة موجودة لدى البشر جميعا :

في الحقيقة ان اعتقاد الانسان بوجود قوة عليا تسيطر على هذا الـكون وجد يوم وجد الإنسان على ظهر الأرض ، وان لم يعرف حقيقة هذه القوة المغيبة عنه ، ولقد تناول كثير من الـكتاب والمفكرين هـذا الموضوع بالدراسة والبحث ، واستدل البعض منهم به على وجود الله - سبحانه وتعالى - بل ان البعض منهم قـد أقامه دليلا مسـتقلا على وجود الله - تعالى - أسماه « الدليـل الاجماعي » وعلل هذه التسمية باجماع الأمم كلها على الاعتراف باله قادر أبدع الكائنات ، وهو لا يزال يرعاها ويدبر شئونها ، ومن هنـا يقول الشيخ جمال الدين القاسمي :

« ان تاريخ البشر ليرينـا أن جميـع النـاس من مبـدأ فطرتهم هم أصحاب اتجاه ديني ، فلا توجد أمة في أي عصر أو مكان دون ديانة ، ولئن رأينا البعض قد انحرف فلا يمنع هذا أن معرفة الله مغروسة في قلوبهم - هذا الشعور الديني لا يمكن أن يكون وليد عقل بشري ، لأنه سبق كل تقدم علمي ،

وقد قال بعض من ذرع الأرض برحلاته أنه فى الوقت الذى يمكننا أن نجد فيه أمما محرومة من العلوم أو السلطة أو التقدم ، فاننا لا نجد مدينة خالية من المعابد أو لا تقام فيها صلوات لدفع ضر أو لجلب خير ، ثم يقول : فهذا دليل على أن الله خلق البشر وهم يحملون من المواهب الروحية ما يمكنهم من معرفة وجود الله معرفة تنبعث من النفس وتصدر من القلب ، كما ذكر عن الرحالة الذين جالوا عند افتتاح أمريكا واستراليا وغيرها من الأرض المجهولة ويجمل دليله هذا بقوله :

ان الاعتقاد بواجب الوجود وخلود النفس من أركان ديانتهم ، ديانة الشعوب التى ذكرها ـ وكذا الاعتقاد بمكافأة الصالحين ومجازاة المفسدين ، بل شوهد عند أعظم الشعوب توحشا وهمجية الاعتقاد بوجود مولى عظيم فى السماء ، وقد كان الدين والاعتقاد بوجود الله سابقين على كل تقدم ، فلقد ظهر مع ظهور الانسان ووجوده على الأرض ٠

وما يزعمه زاعم من أن بعض الأمم لم يعرفوا الخالق ـ تعالى ـ فما هو الا ادعاء باطل ، كما تبين للمؤرخين الذين جالوا بين أولئك الشعوب ، واستقرأوا أخبارهم وجدوهم على أتم اتفاق على الاقرار بوجود الله ـ سبحانه ٠ وقد أتوا بتفاصيل لا يشوبها ريبة ، وعلى فرض صحة أن بعض الشعوب الضاربين فى معامى الأرض لا تعرف

الخالق ؛ فانهم نفر قليل يعدون من الشواذ ويحال شذوذهم على مرض عرض لهذا الشعور الفطرى » (٦) .

وبناء على ما تقدم يتضح لنا أن فطرية الشعور الدينى غريزة فى طبيعة البشر لا يخلو عنها فرد من الأفراد ، أو مجتمع من المجتمعات ، أو شعب من الشعوب .

ويمكن القول أيضا : أن الأنبياء عليهم السلام ـ لم يتجه هدفهم لغرس بذور عقيدة بقدر ما اتجه ـ أساسا الى توجيه غريزة التدين الموجودة والمستقرة فى النفس البشرية نحو الوجهة الصحيحة ، وتطهيرها عما شابها من شوائب الشرك (٧) .

اهتداء الانسان الى سر وجوده :

فى أعماق كل انسان صوت خفى يناديه من الأعماق ، وأسئلة تلح عليه تنتظر الجواب الذى يريح نفسه ، ويطمئن قلبه ، ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاء ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ أى مستقبل ينتظر الانسان بعد هذه الحياة ... الخ . هذه الأسئلة ألحت على الانسان من يوم خلق ، وستظل تلح عليه الى أن تطوى صفحة الحياة ولن تجد الاجابة الشافية الا فى الدين ، ذلك أن الدين هو الذى يستطيع أن يجيب على كل ما يدور فى خلد الانسان بما يرضى فطرته .

---

(٦) دلائل التوحيد ص ٤٧ ، ٤٨ محمد جمال الدين القاسمى ط ـ جمعية النشر والتأليف ـ مصر .

(٧) محاضرات فى العقيدة الاسلامية ص ١٤ ، ١٥ د . امين امين راشد ١٩٨٤ .

وهذه النزعة الفطرية الموجودة لدى الناس جميعا تظهر واضحة أمام الشدائد والكوارث والمحن ، هنا يجد الانسان أنه لا حيلة له الا الالتجاء الى قوة عليا يلتجيء اليها ، ونرى هذا واضحا فى آيات كثيرة فى كتاب الله تعالى • منها :

١ ـ « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكون من الشاكرين • قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » (٨) •

٢ ـ « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكون من الشاكرين » (٩) •

٣ ـ « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (١٠) •

٤ ـ « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون » (١١) •

٥ ـ « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » (١٢) •

---

(٨) سورة الانعام الآية ٦٣ ، ٦٤ •

(٩) سورة يونس الآية رقم ٢٢ •

(١٠) سورة الزخرف الآية رقم ٩ •

(١١) سورة العنكبوت الآية رقم ٦١ •

(١٢) سورة لقمان الآية رقم ٣٢ •

٦ - « واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض » (١٣) .

ومن هنا نرى أن فطرة الانسان تحس دائما بالظمأ والتوتر حتى تجد الخالق وتؤمن به ، وتتوجه اليه ، فتستريح النفس الانسانية ، وتحس بالهداية بعد التخبط والاطمئنان بعد القلق ، وبالقرب بعد الغربة ، هذا الظمأ الفطرى أجمع عليه الباحثون قديما وحديثا ، فقد وجدوا الانسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بالله ، والانحراف الذى أصاب بنى البشر لم يكن بانكار وجود الله وعبادته وانما كان بتوجيه العبادة الى غيره ، أو اشراك آلهة أخرى معه من مخلوقات الأرض والسماء .

يقول بعض الملاحدة « لو أردت من نفسى وعقلى أن يشكا لما استطاعا ولو أرادا منى أن أشك لما استطعت ، ولو أنى نفيت ايمانى بالقول لما صدقت أقوالى ، فشعورى أقوى من كل أقوالى ، ماذا لو أن إنسانا قال : انه لا يحب نفسه أو لا يحب الحياة ، فهل تصدقه ؟ أو هل يصدق هو كلامه ؟ هل يمكن أن ننفى أنفسنا أو احساسنا بهذا الكلام ؟ ان الحقائق الكبيرة لا تسقطها الألفاظ ، كذلك الايمان بالله والأنبياء والأديان من الحقائق القوية التى لا يمكن أن تضعفها أو تشكك فيها الكلمات التى تجئ غامضة أو عاجزة ، لأن فورة من الحماس قد أطلقتها ، ان ايمانى يساوى : أنا موجود اذن أنا مؤمن ، أنا أفكر اذن أنا مؤمن ،

---

(١٣) سورة فصلت الآية رقم ٥١ .

أنا انسان اذا أنا مؤمن » (١٤) ٠

ان هذا الاعتراف الذى سجله هذا الملحد يدل على أن الايمان فطرة متــأصلة فى نفس الانسان ، ومعنى ذلك أن الانسان لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يعيش بغير ايمان ، ولا أن يحيا من غير اله يعظمه ويقدسه ويلجأ اليه ورحم الله الامام ابن القيم حين يقول :

فى القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله ٠

وفيه وحشة لا يزيلها الا الأنس بالله ٠

وفيــه حزن لا يذهبــه الا السرور بمعرفتــه ، وصــدق معــاملته ٠

وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه ، والفرار اليه ٠

وفيه نيران حسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيــه وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه ٠

وفيه فاقة لا يسدها الا محبتــه والانابة اليــه ، ودوام ذكره ، وصدق الاخلاص له ولو أعطى الدنيــا وما فيها لم تسد الفاقة أبدا (١٥) ٠

والقرآن الكريم يصور لنــا أصالة الفطرة فى كل أفراد

---

(١٤) نقلا عن كتاب الايمان والحياة ص ٩٢ د٠ يوسف القرضاوى – مكتبة وهبــه ١٩٩٠ ، هذا ويبدو لى من خلال هذا النص ان هذا الرجل كان ملحدا قبــل كتابة هذا النص ، أما بعد كتابة هذا النص فواضح أنه رجــل يؤمن بالله ٠

(١٥) مدارج السالكين لابن القيم ٢/١٧٢ – دار الحديث – مصر ٠

البشرية ، ويعرضها فى صورة ميثـاق اخذه الله عز وجـل ـ على الانسانية ـ بينها وبينه على أن تعبده ولا تشرك بـه شيئا · يقول جل شأنه (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيـامة انا كنا عن هذا غافلين · أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبـل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) (١٦) ·

قال صاحب تفسير المنار « هذه الآيات بدء سياق جديد فى شئون البشر العامة المتعلقة بهداية الله لهم بما أودع فى فطرتهم ، وركب فى عقـولهم من الاسـتعداد للايمـان بـه وتمجيده وشكره فى اثر بيـان هدايته لهم بارسال الرسـل وانزال الكتب » (١٧) ·

هذا وقد أخذ العلماء من هاتين الآيتين السابقتين أمورا من أهمهـا :

١ ـ ان معـرفة الله ـ سـبحانه ـ فطرية ضرورية · قال تعـالى (ولئـن سألتهم من خـلق السموات والأرض ليقولن الله) ·

٢ ـ فساد التقليد فى الدين ، وأنه تعالى قد أزاح العذر ، وأزال العـلل بحيث أصـبح لا يعـذر أحـد بكفره أو شركه (١٨) ·

---

(١٦) سورة الأعراف الآية ١٧٢ ، ١٧٣ ·

(١٧) تفسير المنـار ٩/٣٨٦ ·

(١٨) التفسـير الوسـيط للقـرآن الـكريم ٥/٢٦٣ د· محمد السـيد طنطـاوى ·

الاسلام دين الفطرة

أخذ الاسلام وصف الفطرة من قول الله تعـالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [١٩] والملاحظ أن الآية الـكريمة تبين أن الاســلام ليس فقط دين الفطرة وانما هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهذا تعبير موجز ينطبق تمام الانطباق على ســنن الله - تعالى - التى خــلق عليها الانسان ســواء كان هــذا التعلق بنفس الانسان أو ببــدنه أو بقلبه ، فى الفرد والأسرة والجماعة ، أو فى الشعوب والأمم ، وثبات تلك السنن ، أى فى الانسان أو غيره واطرادها واتساقها فيما بينها - ومع السنن الأخرى المنبثة فى الكون - ، دل عليه أبلغ دلالة قوله تعالى (لا تبديل لكلمات الله) فهــذه الجملة أكدت المعــانى السابقة فى قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ذلك أنها وضحت معنى الفطرة ففسرتها بمعنى الخلق وأضافت الخلق الى الله سبحانه وتعــالى - فأكدت كل معــانى الكمال المنطوية فى اضافة الفطرة الى الله فى قوله سبحانه (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ، كما أن التعميم فى قوله سبحانه (لا تبديل لخلق الله) قــد أكد مفهوم ذلك التخصيص لأنه شــامل له ، ومن ناحية أخرى دال على اتساق الاسلام مع الفطرة العامة

---

(١٩) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

فى الكون كله ، فلا اختلاف بين الفطرتين [٢٠] ٠

وقد شاءت ارادة الله ـ سبحانه ـ أن يكون كل شىء فى الكون على مقتضى حكمته وتدبيره لا يتغير ولا يتبدل بتغير الأزمان ، حتى العلوم الحديثة يقوم وجودها على هذا القانون الالهى ، اذ العلم وطريقته النظرية العلمية التجريبية متوقفة على اتساق الفطرة واتصاف سننها بالاطراد والثبوت [٢١] ٠

والملاحظ أن هذه الآية الكريمة التى جاءت فى سورة الروم قد سبقتها آيات كلها كونية لا يستطيع كشف أسرارها الا العلم التجريبى الحديث ، وهذه الآيات (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ٠ وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ٠ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ٠ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ٠ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ٠ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات

---

(٢٠) يراجع : الاسلام فى عصر العلم ص ٢١ ، ٢٢ للأستاذ محمد احمد الغمراوى ٠ دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ ١٩٧٨ ٠

(٢١) المرجع السابق ص ٢٢ ٠

لقوم يسمعون · ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون · ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعـوة من الأرض اذا أنتم تخرجون ولـه من فى السموات والأرض كل له قانتون) (٢٢) ·

هـذه تسع آيات جمـع الله للانسانية فيها بين العـلم والدين ، ثم كان التعقيب بعـد هـذه الآيات بذكر الفطـرة والخلق وربطهما بالدين « فطرة الله التى فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم » يقول بعض الباحثين : ومن أعجب عجـائب تلك الآيات الكريمة وأكبرها وأبهرها ، وصف الاسلام بأنه نفس الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهذا شيء فوق العقـل البشرى أن يتصوره فضـلا عن أن يسبق اليه فى القديم والحديث ، والانسانية الى الآن لا تعقل حتى امكان تحقيقـه ، فلا فلاسفتها ولا مشرعوها يحـدثون أنفسـهم يوما ما الى نظـام ينطبق على الفطرة من جميـع الوجوه ، والمسلمون فى شـغل بما ينبـذ اليهم الغـرب من الآراء والمذاهب غافلين عن الكنز الذى بأيديهم ، والنـور الذى فوق أبصارهم ، وعن النعمـة الكبرى التى مـن الله عليهم بها فى الاسلام » [٢٣] ·

هذا وقد تنـاول كبار المفسرين مسألة الفطرة بشيء من

---

(٢٢) سورة الروم الآية رقم ١٧ ـ ٢٥ ·

(٢٣) الاسلام فى عصر العلم ص ٢٥ ·

التفصيل ، فقــد بين الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن معنى قوله تعالى (فأقم وجهك) أى استمر على الدين الذى شرعه الله من الحنيفية ملة ابراهيم التى هداك الله لها ، وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك التى فطر الله الناس عليها ، لأن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا اله غيره ، أما بالنسبة لقوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) ٠

فقد نقل ابن كثير قولا لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ مع سبعة من كبار التابعين أن معنى قوله تعالى (لا تبــديل لخلق الله) أى لدين الله ، أى أن الاسلام والفطرة التى فطر الله الناس عليها شىء واحد [٢٤] ٠

ويؤكد هــذا المعنى الامام الزمخشرى صاحب تفسـير الكشاف ، حيث يبين أن المراد من الفطرة : مــلة الاســلام والتوحيــد ، فالله ـ سبحانه ـ خلق الناس قابلين للتوحيــد ولدين الاســلام ، غير نائين عنه ، ولا منكرين له ، لــكونه مجاوبا للعقل ، مساوقا للنظر الصحيح ، حتى لو تركوا لمــا اختاروا عليه دينا آخر ، ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجــن ، ويبين الزمخشرى أن معنى قوله تعـــالى (لا تبــديل لخلق الله) أى ما ينبغى أن تبــدل تلك الفطــرة أو تغير [٢٥] ٠

كما أخــذ الاسلام أيضــا لفظ الفطرة من قول الرسول

---

(٢٤) تفسير ابن كثير ٣/٤٣٢ ـ ط ٠ عيسى الحلبى ٠

(٢٥) تفسير الكشاف ٣/٢٢٢ ط ٠ مصطفى الحلبى ٠

- ﷺ - فى الحـديث الشريف « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » [٢٦] .

وقـد فسر جمهـور السـلف لفظ الفطـرة الواردة فى الحديث الشريف بالاسلام أو التوحيد أو معرفة الله - تعالى .
وقيـل : ان المعنى : أن كل مولود يولد على ما سبق له فى علم الله ، لكن الامام ابن تيميـة يرد هـذا الرأى قائلا : « ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثـابة ، فجميع البهائم مولودة على ما سـبق فى علم الله لها ، وحينئـذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة ، وأيضا فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله « فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » معنى فانهما فعلا بـه ما هو الفطرة التى ولـد عليها فلا فرق بين التهويد والتنصير ، وتمثيـله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التى ولدت جمعـاء ثم جدعت ، يبين أن أبويه غيرا ما ولـد عليـه » [٢٧] .

وهنـاك رأى يقول : ان المراد من المعنى فى الحديث : أن الله - تعالى - خلق العباد خالين من المعرفة والأفكار من غير أن تكون الفطرة تقتضى واحدا منهما ، بل يكون القلب كاللوح الذى يقبل كتابة الايمان والكفر ، وليس هو لأحدهما أقبـل منه للآخر .

---

(٢٦) البخارى كتاب الجنـائز باب (٧٩) حديث (١٣٥٨) ، مسلم كتاب القـدر (٤٦) باب (٦) حديث (٢٦٥٨/٢٢) .

(٢٧) مجموعة الرسائل الـكبرى للامام تقى الدين ابن تيميـة ٣٣٥/١ ط . صبيح .

لكن ابن تيمية يرد أيضا على هذا القول مبينا أن « هذا قول فاسد جدا ، اذ لا فرق حينئذ بين المعرفة والانكار والتهويد والتنصير والاسلام ، وانما ذلك بحسب الأسباب ، فكان ينبغى أن يقال : فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه ، وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام ، علم أن حكمه فى حصول سبب مفضل غير حكم الكفر ، ففى الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما ، والله - تعالى - يقول (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) فأمره بلزوم فطرته التى فطر الناس عليها - والمأمور بلزومه ممدوح - وأيضا فالنبى - ﷺ - شبه الفطرة بالبهيمة المجتمعة الخلق ، وشبه ما يطرأ عليها من الكفر نجدع الأنف ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم ، فكيف تكون الفطرة قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة ؟ (٢٨) .

وبهذا يرى الامام ابن تيمية أن النفوس مفطورة على معرفة الخالق جل وعلا وان كان بعض الناس قد يحدث له ما يفسد هذه الفطرة ، ويحيد بها عن الطريق السوى .

وعلى أى حال : فان الآية الكريمة والحديث الشريف متظاهران معا على أن الاسلام الذى هو دين الله والفطرة الانسانية السليمة شىء واحد ، وأن ما يعتور بعض الناس من عوج انما هو أمر طارىء يرجع - أساسا - الى الخروج

---

(٢٨) مجموعة الرسائل ١/٣٣٥ ، ٣٣٦ .

عن التربيــة الاسلامية الصحيحة ، وواضح من خــلال نص الحديث أن البيئـــة لها أثر هام فى حيــاة الانسان ، ولــكن لا يعنى ذلك أن هنــاك مسوغا لانحراف الفطرة أو فسادها فلا تسقط مســئولية الانسان بحال من الأحوال اذا انحرف عن الايمان ، ان هذه القضية هى قضية الناس جميعا ، فى جميع الأقطار والأماكن ، وفى جميــع الأجناس والألوان ، وعلى جميــع المســـتويات ، وقضــية الانسان الى قيــام الساعة (٢٩) .



---

(٢٩) التوحيـد ص ٧٩ د. عدنان رضا النحوى - دار النحوى للنشر والتوزيع - الرياض .

الفطرة والتوحيـد

عقيدة التوحيد ، هى العقيـدة التى قامت عليها جميع الرسالات السماوية ، ودعا اليها جميع الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ وهذا هو ما سـجله القـرآن الـكريم فى أكثر من موضع يقول تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبـوا الطاغوت) (٣٠) (وما أرسلنا من قبـلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (٣١) .

وكل رسول يقول الكلمة ذاتها ويمضى ، فيأتى الرسول الذى بعده فيقول نفس الكلمة حتى لكأنهم رسول واحد على اختلاف الزمن واختلاف لغـات الأقوام (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أنى لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) (٣٢) .

« والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره .. » (٣٣) .

« والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره .. » (٣٤) .

« والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

(٣٠) سورة النحل الآية رقم ٣٦ .
(٣١) سورة الأنبيـاء الآية رقم ٢٥ .
(٣٢) سورة هـود الآية رقم ٢٥ ، ٢٦ .
(٣٣) سورة هـود الآية رقم ٥٠ .
(٣٤) سورة هـود الآية رقم ٦١ .

من اله غيره ٠٠ » (٣٥) ٠

« واذ قال ابراهيم لأبيــه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين » (٣٦) وقد خاطب القرآن الكريم محمدا - ﷺ - فى قوله سبحانه « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (٣٧) ٠

ومن هنــا : نجد أن التوحيــد هو الأساس الذى قامت عليه جميع الرسالات السماوية ، وهذا التوحيد مفطور فى طبيعة الانسان ، فكل انسان سوى الفطرة يشعر بفطرته أن ثمة واحدا قد نظم هذا العالم ودبره ، لا يشبه الممكنات فى شىء من صــفاتها وليس بجســم ولا عرض ، ولا محــدود ولا متحيز ، ولا يستطاع ادراكه الا بآثاره ، والى ذلك اهتدى الأعرابى بفطرته النقية قائلا « البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقــدام يدل على المسير ، أســماء ذات أبراج وأرض ذات فجــاج ، وبحــار ذات أمواج أفلا يــدل ذلك على اللطيف الخبير » ؟ ٠

وقد جاء الاسلام مصدقا لمــا اقتضته الفطرة السليمة ، ولم يرد فى الاستدلال شيئا سوى أن أيقظ العقول ونبهها الى النظر فى آثار الله - تعالى (٣٨) ٠

---

(٣٥) سورة هــود الآية رقم ٨٤ ٠

(٣٦) سورة الزخرف الآية رقم ٢٦ ٠

(٣٧) سورة الزخرف الآية رقم ٤٥ ٠

(٣٨) الاســلام دين الفطرة ص ٥٥ للشــيخ عبد العزيز جاويش ط ٠ الزهراء للاعلام العربى ٠

وكل حجة يحملها الشرك هى فى حقيقتها حجة باطلة أمام اشراقة الفطرة السوية والعهد الموثق ، ان هذه الفطرة اشراقة فى النفس تمنع الناس أن يتبعوا آباءهم على عمى وضلال ، وتدفع الناس أن يؤمنوا باله واحد ، وقد رد القرآن على هذه الحجج الباطلة فقال تعالى :

(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا · قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون · قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) [٣٩] ·

انها حجة باطلة واهية أمام فطرة التوحيد السوية التى آمنت بالله الواحد وعرفت أن الله ـ سبحانه على كل شيء قدير ، وأنه فعال لما يريد ، وقد شاءت ارادته ـ سبحانه ـ أن يخلق الناس كلهم على الفطرة والتوحيد ، لكن الناس هم الذين ينحرفون عن هذه الفطرة النقية ، ويسيرون فى الطريق المعوج ·

وهذه الحجة الواهية التى يأتى بها المشركون تحمل فى طياتها التناقض الواضح ، لأنهم ما داموا يقرون بقدرته ـ سبحانه ـ الى هذا الحد الذى لو شاء الله معه « لهداهم أجمعين » ما داموا يقرون بذلك فلماذا لم يؤمنوا بالله ـ تعالى ـ ويسلموا له ، ويعودوا الى فطرة التوحيد الصادقة [٤٠] ·

---

(٣٩) سورة الأنعام الآية رقم ١٤٨ ، ١٤٩ ·

(٤٠) التوحيد وواقعنا المعاصر ص ٨٦ د· عدنان رضا النحوى ·

واذا كنا نتحدث هنـا عن التوحيد والفطرة فاننا نلمح التوحيد واضحا أيضا فى أسماء الله الحسنى ، فمن أسماء الله الحسنى : الخالق البـارىء المصور ، ولا يعقل أن تكون هذه الصفات الا لواحد ، والا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، وفى هذا يقول تعالى (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ، ما اتخـذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » [٤١] .

والقرآن الكريم يلفت نظرنا الى أن هناك صفات لا يمكن أن تجتمع فى أكثر من اله واحد له ملك السموات والأرض ، يقول تعـالى :

(سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم • لـه ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شىء قـدير • هو الأول والآخر والظـاهر والباطن وهو بكل شىء عليم • هو الذى خلق السـموات والأرض فى سـتة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معـكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير • لـه ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور • يولج الليـل فى النهار ويولج النهار فى الليـل وهو عليم بذات الصدور) [٤٢] .

فالله ـ سبحانه ـ العـزيز الحكيم ، يحيى ويميت وهو

---

(٤١) سورة المؤمنون الآية رقم ٩٠ ، ٩١ .

(٤٢) سورة الحديد الآية رقم ١ ـ ٦ .

على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، اليه ترجع الأمور ، عليم بذات الصدور ٠٠٠ هذه الصفات تمثل بعضا من صفات الواحد ولا يمكن أن تجتمع فى أكثر من واحد ، له وحده ملك السموات والأرض، وبهذه الصفات ٠ وهذه الألوهية لا يسأل عما يفعل ، فالذى يسأل هو المخلوق ، فالمخلوق هو الذى يسأل عن فعله ويحاسب عليه ، أما الخالق فيحاسب الخلق الذين خلقهم ٠

(أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ٠ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ٠ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ٠ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) [٤٣] ٠

هذا وقد نهج الامام أبو منصور الماتريدى نهجا يخاطب الفطرة مستدلا بـه على وحدانية الله ـ تعالى ـ مبينا ما يلى :

١ ـ ان الأمر المعتاد بين الملوك بذل الوسع منهم فى قهر أمثالهم من الملوك ليكون لواحد منهم الملك القاهر ، وليمنع هذا الملك غيره من انفاذ حكمه واظهار سلطانه ، فنفاذ سلطان العزيز الحكيم وحده دلالة على أنه الواحد « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا

---

(٤٣) سورة الأنبياء ٢١ ـ ٢٤ ، وينظر التوحيد وواقعنا المعاصر ص ٩١ ٠

لابتغوا الى ذى العرش سبيلا » [٤٤] وربنا جل وتعالى قد نفذ سلطانه بارسال رسله بالآيات البينات التى يضطر من شاهدها أنها فعل من لو كان معه شريك لمنع اظهارها ، فما سلمت الآيات للرسل الا لأن الاله الحق قد قهر كل معاند متعنت مكابر ٠

٢ ـ ثم انه لو كان مع الله ـ سبحانه ـ اله لأظهر الآخر حكمته بفصل فعله عن فعل الاله الحق ليعلم به قدرته وسلطانه ، ولوجد فى الكون أفعالا لا يضاد بعضها بعضا ، وهذا معنى قوله تعالى (وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) [٤٥] وقوله سبحانه (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) [٤٦] وقوله (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) [٤٧] ٠

٣ ـ ولو وجد أكثر من اله لتقلب فيهم التدبير مثل تحول الأزمنة والفصول ، أو تسيير الشمس والقمر والنجوم ، أو أغذية الخلق وتدبير معاش الحياة ، فدوران ذلك كله على مسلك واحد من التدبير واتساقه على سنن واحد يستحيل أن يتم بمدبرين ٠

---

(٤٤) سورة الاسراء الآية رقم ٤٢ ٠

(٤٥) سورة المؤمنون الآية رقم ٩١ ٠

(٤٦) سورة لقمان الآية رقم ١١ ٠

(٤٧) سورة الرعد الآية رقم ١٦ ٠

٤ ـ ثم ان السماء والأرض على بعد ما بينهما ، وأطراف الأرض على بعد ما بينها تنخرط كلها فى سلك من الانسجام المتقن ، فكل نوع من الأنواع الخارجة من الأرض لا يكون الا بسبب من أسباب السماء ، وحاجات كل أهل البلدان منتشرة فى جميع الأطراف، وكل ذلك يستحيل أن يكون بمدبرين ٠

٥ ـ واذا تأملنا عناصر العالم وجواهره لوجدنا أن كل عنصر أو جوهر منها لا يكون نافعا من كل وجه ، ولا خبيثا ضارا من كل وجه ، وفى ذلك دليل على وحدانيته تعالى ، لأنه جمع فى كل عنصر من هذه العناصر وجوها للمنافع ووجوها للمضار ، فلو كانت بعض العناصرخالصة الخيرية والنفع لكان من الممكن أن يقال : ان الها من الآلهة قد اختص بصنع الخيرات وحدها ، ولو كانت بعض العناصر خالصة الشرية والضرر لكان من الممكن أن يقال مثل ذلك أيضا ، فثبت أن مدبر الجميع واحد جمع فيها بين المنافع والمضار ، وحبس الضرر عن النفع ، والشر عن الخير ، بالحكمة العجيبة فالتآلف مع التضاد لا يكون الا بمدبر حكيم عليم لطيف لا ينازع فى التدبير ولا يخالف فى التقدير [٤٨] ٠

---

(٤٨) التوحيد لأبى منصور الماتريدى ص ١٦ وما بعدها ـ تحقيق د٠ فتح الله خليف ـ دار المشرق ـ بيروت ـ ١٩٧٠ ٠

هـذا ، ونود أن نشير هنا الى أن فى القرآن الكريم دلالات فطرية بدهية على وحدانية الله ـ جل وعلا ـ ومنها :

١ ـ قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) [٤٩] .

وهذا النص القرآنى الكريم دليل واضح على استحالة وجود الهين يقومان بفعل واحد ، والملاحظ أن الدلالة هنا فى الآية دلالة فطرية ، فالآية تقرر حقيقة بدهية تدركها فطرة كل انسان ، وهى أن وجود ملكين فى مدينة واحدة يفسدها ، لأنه لا يتأتى فعل واحد من فاعلين فيجب ضرورة ـ ان فعلا معا ـ أن تفسد المدينة الا اذا كان أحد الملكين يعمل والثانى عاطل ، وقد يجوز هذا فى الملوك ولكن لا يجوز فى الآلهة ، ذلك أن العاجز والعاطل لا يصلح للألوهية .

٢ ـ قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) [٥٠] .

وهذه الآية الكريمة تبين لنا أن الآلهة المختلفة الأفعال لا يطيع بعضها بعضا ولا يكون عنها موجود واحد ، ولما كان العالم واحدا وجب ألا يكون موجودا عن آلهة مختلفة الأفعال ، وانما هو موجود عن اله واحد ، وهذا أمر بدهى ، وحقيقة واضحة ، تدركها الفطرة السليمة .

٣ ـ قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) [٥١] .

---

(٤٩) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٢ .

(٥٠) سورة المؤمنون الآية رقم ٩١ .

(٥١) سورة الاسراء الآية رقم ٤٢ .

ومعنى الآية الكريمة : أنه لو وجد الهان ، لابد وأن يتساويا فى كل شىء ، ومن هنا تكون نسبتهما الى العرش واحدة ، لأن اتحاد أفعالهما يستلزم الاتحاد فى كل الصفات، وهذا بدوره يستلزم - بدهيا - استحالة القول بالتعدد ، فوجود الهين سرمديين مستحيل ، وبلوغ الكمال المطلق فى صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال مطلق آخر في تلك الصفة نفسها ، وأن الأثنينية لا تتحقق فى موجودين كلاهما يطابق الآخر ، ولا يتمايز منه فى شىء من الأشياء ، وكلاهما بلا بداية ولا نهاية ولا حدود ولا فروق ، وكلاهما يريد ما يريده الآخر، ويقدر ما يقدره ، ويعمل ما يعمله فى كل حال وفى كل صغير وكبير ، فهذان وجود واحد وليسا بوجودين [٥٢] .

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يبين لنا فى جلاء ووضوح أن وحدة العالم وما يشتمل عليه من نظام وابداع واتصاف الاله بالكمال المطلق ، أدلة قاطعة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى [٥٣] . والى هذا تشير الآية القرآنية فى قوله سبحانه :

(والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء

---

(٥٢) « الله » للعقاد ص ٢٤٣ - ط ٥ دار المعارف - مصر .

(٥٣) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ص ١١٤ د. صلاح عبد العليم - مكتبة الأزهر - ط ١ - ١٩٨٢ .

من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

والمعنى : والهكم الذى يستحق العبادة اله واحد ، ولا يستحق العبادة أحد سواه ، فهو سبحانه خلق السموات والأرض وما فيهما من الاحكام والاتقان ، وكذلك اختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء ، ولو شاء لأمسكه ، مع أن الماء من طبعه الانحدار ، وهو وحده الذى جعل الأرض التىنعيش عليها تنبت من كل زوج بهيج بسبب ما أنزل عليها من ماء وهو وحده الذى نشر على هذه الأرض أنواعا من الدواب مختلفة فى طبيعتها ، وأحجامها ، وأشكالها ، وألوانها ، وأصواتها ، ومآكلها ، وحملها وتناسلها ، ووجوه الانتفاع بها ، وغير ذلك من وجوه الاختلاف الكثيرة ، وتصريف الرياح ، ونقلها من حال الى حال ، وتوجيهها على حسب ارادته ، ووفق حكمته والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، ان كل هذه المشاهد الكونية آيات ناطقة بأن الله واحد لا اله غيره [٥٤] .

لقد اتجهت الآية الكريمة فى تثبيت عقيدة وحدانية الله ـ تعالى ـ وقدرته وألوهيته الى تنبيه الحواس والمدارك والمشاعر الى ما فى هذا الكون المشاهد المنظور من آيات ودلائل على حقية الخالق ـ عز وجل ـ بالعبادة ، وهذه

---

(٥٤) يراجع : التفسير الوسيط ١/٤٣٣ .

الطريقة من تنبيه الحواس والمدارك جديرة بأن تفتح الأبصار والبصـائر على عجائب الكون ، ذلك أن هذه العجائب قـد أصبحت شيئا مألوفا عند كثير من الناس بسبب عدم تدبرهم لـما فيها من عظات وعبر [٥٥] .

وكلما كان الانسان أسـلم فطرة وأزكى نفسـا تفتحت بصيرته ، وارتفع عن جاذبية الطين • أحس بأن الكون كله ناطق بوحدانيتـه سبحانه ، فقضـية التوحيـد هى القضية الكبرى فى حيـاة الانسـان ، والحقيقة الأولى فى الـكون ، ولا عجب اذا رأينـا من خلال الفطرة المنحرفة آلهـة شتى ، ومن هنا فقد كان التوحيد بكل امتداده قضية الفطرة ، لأن الله ـ سبحانه ـ فطر الناس على التوحيـد وقواعد الايمان وأسس العبـادة « وما لى لا أعبـد الذى فطـرنى اليـه ترجعون) [٥٦] انها شهادة ممتدة مع العصور والأجيـال ، فطرة تؤمن بالله وحده لا شريك له (قل أغير الله أتخذ وليـا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) [٥٧] .

* * *

---

(٥٥) المرجع السابق ١/٤٣٦ .

(٥٦) سورة يس الآية رقم ٢٢ .

(٥٧) سورة الأنعام الآية رقم ١٤ ويراجع التوحيد ص ٧٩ ، ٨٥ .

القرآن الكريم يخاطب فطرة الانسان

ان القرآن الكريم يخاطب جميع القوى التى أودعها الله فى الانسان ، ليذكره بالايمان الذى فطره عليه ، وبالعهد الذى أخذه عليه قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون • سيقولون لله قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله قل فأنى تسحرون • بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) [٥٨] •

فلا يكاد السؤال يطرق الآذان (قل لمن الأرض ومن فيها ••) حتى تجيب الفطرة التى أودعها الله (سيقولون لله) اذن لماذا يكون الانكار ، ولماذا يكون الكفر مع هذا الاعتراف الصريح بأن الله بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ؟ •

ان هذا الحوار يكشف لنا أن هناك جانبا من فطرة الانسان قد يظل سليما حتى حينما تنحرف الفطرة ، ويغلبها الفجور ، فهذا الجزء من الفطرة يقر بالحقيقة الناصعة ويعترف بها • يقول تعالى :

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) •

هذا اقرار واضح وصريح يخرج من فطرة الانسان ،

---

(٥٨) سورة المؤمنون الآية رقم ٨٤ ـ ٩٠ •

من ذلك الجزء الذى لم تفسده الشهوات ، ولم يعطله الهوى، وهذا هو حال طائفة من الناس بقى فيهم مع انحراف الفطرة - بقية منها ظلت سليمة ، ولكن طائفة أخرى من الناس عم الفساد فطرتهم حتى لم يترك منها جـزءا فلا يستطيعون أن يجيبوا على تلك الأسـئلة ، ولا هم قادرون على تذكر أبسط الحقائق وأولى البديهيات [٥٩] .

(قـل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أوليـاء لا يملكون لأنفسهم نفعـا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهـار) [٦٠] .

وهنا نرى أن الفطرة حينما تمرض ولم تسعف الانسان بالاجابة ، يأمر الله رسـوله أن يقـرع فطرتهم بالتـذكير ، لعلها تتذكر أو تعود الى رشدها (قل الله) ، (قل الله خالق كل شيء) ، (قل هل يستوى الأعمى والبصير) وكأن كلمة قل مطرقة تقرع النفوس الغافية لعلها تصحوا [٦١] .

وهكذا يمضى منهـج الله - سبحانه - يخاطب الفطرة وما تحمـله من قدرات عاطفية وعقلية ، فلا يترك ناحية الا خاطبها وقرعها وحرك طاقاتها ، وتمتد آيات القرآن الكريم

---

(٥٩) التوحيـد ص ٩٢ .

(٦٠) سورة الرعـد الآية رقم ١٦ .

(٦١) التوحيـد ص ٩٣ .

تطرق الفطـرة وتقـرعها بالترغيب والترهيب فاذا خاطبت العاطفة والشعور فى آيات تطرق أيضا فكر الانسان وتحرك قدراته العقلية . يقول تعالى :

(قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنـة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد . قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد . قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيـوب . قـل جـاء الحق وما يبـدىء البـاطل وما يعيد) (٦٢) .

وكذلك قوله تعـالى (ان فى خلق السـموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنـا ما خلقت هـذا باطلا سبحانك فقنـا عـذاب النـار) (٦٣) .

بهذا الشمول وهذا الامتداد يقرع منهاج الله ــ تعالى ــ فطرة الانسان بكل ما تحمل من عوامل خفية وكامنة ، لعلها تعود الى صفائها وسلامتها ، ولن يجد الناس حجـة أعظم من كتاب الله ولا أبين ولا أدق من هذا الدستور ، ويستطيع المؤمن أن يجد فى بلاغة ودعوته حقيقة التوحيد على صورة متكاملة (٦٤) .

---

(٦٢) سورة سبأ الآية رقم ٤٦ ــ ٤٩ .

(٦٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ ، ١٩١ .

(٦٤) التوحيد ص ٩٤ ، ٩٥ .

وحينما يتحدث القرآن الكريم عن وجود الله ـ سبحانه ـ يخاطب الفطرة أيضا . يقول تعالى فيما يحكيه على لسان الرسل ـ عليهم السلام ـ لأقوامهم « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » ؟ [٦٥] أى لا يتأتى شك فى وجود الله ـ تعالى ـ عند أصحاب الفطر السليمة ، وكأن وجود الله ـ سبحانه ـ أوضح وأظهر من أن يبرهن عليه « فمن ينظر الى السموات وفى رفعها بغير عمد ، وفى الأرض وايجادها وتعليقها فى الفضاء ... أبعد النظر الى هذا هل يتأتى فى وجوده شك » ؟

ولذلك نجد للامام الكبير ابن عطاء الله السكندرى كلاما دقيقا فى هذا الموضع حيث يقول :

« الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك » .

« كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو الذى أظهر كل شىء » ؟ .

« كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو الذى ظهر بكل شىء » ؟ .

« كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شىء » ؟ .

---

(٦٥) سورة ابراهيم الآية رقم ١٠ .

« كيف يتصـور أن يحجبـه شيء ، وهـو أظهـر من كل شيء » ؟ ·

« كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذى ليس كمثـله شيء » ؟ ·

« كيف يتصور أن يحجبـه شيء ، وهو أقرب اليـك من كل شيء » ؟ ·

« كيف يتصور أن يحجبـه شيء ، ولولاه ما كان وجود شيء » ؟ [٦٦] ·

هذا : ولو ذهبنا نستقرىء الآيات القرآنية التى تخاطب الفطرة لطال بنـا المقام ، وهى تقوم على مبـادىء مقررة يعترف بها كل انسان بالتفكير البسيط لوجودها فى فطرته · ومنهـا قـوله تعـالى (أم خلقـوا من غيـر شيء أم هـم الخالقون) [٦٧] ، (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت) [٦٨] ، (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعـون من دونه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعـوا له) [٦٩] ، (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين

---

(٦٦) قرة العين فى شرح حكم ابن عطـاء الله السكندرى للشيخ أحمد ابن زروق ص ١٠٥ ـ ١١٠ تحقيق د· محمود بن الشريف ج ١ ـ بيروت ·

(٦٧) سورة الواقعـة الآية رقم ٩٠ ·

(٦٨) سورة الغاشية الآيات ١٧ ـ ٢٠ ·

(٦٩) سورة الحج الآية رقم ٧٣ ·

لهم انه الحق) [٧٠] ، وهكذا نجـد أن القرآن الكريم يخاطب الفطرة ، لأنهـا مستودع طاقات الانسان ، الطـاقات التى أودعها الله فى هذا المخلوق ، وأول هذه الطاقات هو الايمان والتوحيـد ، غرسهما الله فى كل انسان ، حتى لا يكون لـه حجة فى الكفر [٧١] .



---

(٧٠) سورة فصلت الآية رقم ٥٣ .

(٧١) التوحيـد ص ١٠٢ .

« حنين الفطـرة »

في داخـل كل انسان فطـرة لا يملؤها علم ولا ثقـافة ولا فلسفة ، انما يملؤها الايمـان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وستظل فطرة الانسان تحس بالجوع والظمأ ، حتى تجد الله وتؤمن به ، وتتوجه اليه ، وهنا تستريح من العناء ، وتهدأ بعد الحيـرة وتستقر بعـد التخبط ، وتطمئن بعـد القـلق والاضطراب [٧٢] .

والحقيقة أن الايمان بالله ـ تعالى ـ من الأمور الفطرية التي تسكن عمق الوجـدان الانساني ، وهـذا الايمان هو احساس الانسان وشـعوره بضرورة وجود قوة أخرى هي مناط الكمال والاقتدار ، وهذا الاحساس البشري الذي يعمر به قلب الانسان وأعماقه من وجود هذه القوة الخفية الكاملة القادرة لازمة من لوازم حياة الانسان ، فكما يبحث الانسان عن الطعام والشراب والهواء لبقـاء كيانه المـادي ، يشعر في نفس الوقت عن هذه القوة الخفية والتقرب منها للابقاء على كيانه الروحي والمـادي معا [٧٣] .

وعبثـا يحاول الانسان أحيانا أن يستر جذوة الايمان المتقـدة في داخله ، ويحبس نداء الروح الداخلي ، غير أنه لا يستطيع ذلك ، ففي وقت الكروب والازمات تجـد الـكافر

---

(٧٢) يراجـــع : الخصـائص العـامة للاســلام ص ١٣ د. يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ٧ ـ ١٩٨٩ .

(٧٣) في الايمان والاسلام ص ١٧ احمد حسين ط ٢ دار العلم .

يلجأ الى الله ـ تعالى ـ طالبا منه الغوث والنجاة ، وقد ذكر أحد الكتاب أن رجلا كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر ودارت الأيام دورتها ، ووقع هذا الرجل فى براثن مرض شديد ، أنهك قواه ، وجعله طريح الفراش حينـذاك استيقظ من غفوته ، وزالت عنه حجب الضلال الكثيفة ، فانبعث منه الايمان بالله ـ تعـالى ـ وقد تكشف ذلك الايمان ، وتجلى واضـحا فى وصيته التى خطها لولده الوحيد الرضيع وهو على فراش الموت ، اذ كان يلح عليه فيها بوجوب الايمان بالله ـ تعالى ـ فكيف حصل هذا التحول المباغت فى كيان الرجل وتفكيره ؟ ومن أين جاءه هذا الايمان ؟ انها ـ بلا شك ـ بذرة الايمان المكنونة داخل أعماقه وكيانه (٧٤) .

ويقول أحد الأطباء : كان لى زميل فى دراستى يرفض الايمان بوجود الله ولا ينطق باسمه أبدا ، ولا يذكره مطلقا ، وذات يوم كنا نؤدى امتحانا عمليا ، وأمام كل طالب جهازه العلمى الذى يقوم بواسطته بتحضيرات طبية معينة ، فلفت نظرى صاحبنا الجاحد وهو منهمك فى عمله ، وقـد تركزت حواسه ومشاعره كلها على الجهاز المذكور ، وهو يعـالجه ولكن دون جدوى ، وأشرف الامتحان على الانتهـاء ، ولم يحقق الطالب ما يصـبو اليه من انجاز عمـله المهم ، وكنت مولعا بمعرفة ما يؤول اليه أمره ، لذا بقيت أراقبه وأختلس النظر اليه وأستمع الى ما يقول ، واذ بى أسـمعه يردد مع

---

(٧٤) الايمان بالله فى ضوء العلم والعقل ص ٧١ محمد رشدى عبيـد ط دار القـادرى .

نفسه بصوت خجول : « يا الله ، يا الله » وعاد الجهاز الى عمله ، وتهلل وجه صاحبنا فرحا وسرورا ، وهدأت أعصابه وعلاه البشر ، وحين غادرنا قاعة الامتحان لم أتمالك نفسى من أن أسأله عن سر نداءاته ودعائه الله الذى لا يعترف له بالوجود ، فضلا عن القدرة والتصرف والتدبير ، فأجاب قائلا : يا أخى انه موجود ، وما كفرنا به الا تخلص سانذج من الامتثال لأوامره ، ورغبة طائشة فى اتباع الهوى العاجل [٧٥] ٠

ان هذا ان دل على شىء فانما يدل على حنين الفطرة الداخلية فى الانسان والتى تعيد الانسان الى صوابه عندما يتعرض للشدة ، أو يقع فى ورطة ٠

ويذكر أحد الباحثين أنه كان مقيما فى المدينة الجامعية، وكان بالحجرة المقابلة طالب يتظاهر بالالحاد ، ويجادل فى الله بغير سلطان ، وبينما هو نائم سمعه يقول بأعلى صوته : يارب ٠ يارب ، فأيقظه من النوم لكى ينقذه من هذا الصراع النفسى الدائر فى ثنايا ضميره ، والذى يتظاهر باخفائه [٧٦] ٠

ويعبر عن هذا الشعور الفطرى الفيلسوف الفرنسى الشهير « رينيه ديكارت » حين يقول « انى مع شعورى بنقص فى ذاتى أحس فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة وأرانى مضطرا الى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى

---

(٧٥) المرجع السابق ص ٧١ ٠

(٧٦) فى العقيدة الاسلامية ص ٥٣ د٠ محمد سيد المسير وآخرون ٠

تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهى الله » [٧٧] .

وهكذا نرى الاحساس الدائم بضعف الانسان ونقصه ومحدودية علمه وقدرته هذا الاحساس جعله الله - تعالى - المؤشر الصادق الذى يوجه الانسان الى خالقه ويحثه على الالتجاء اليه ، واستمداد العون منه ، وستظل هذه الفطرة الانسانية الكامنة داخل الانسان تتوق الى بارئها تخاطب روح الانسان وعقله واحساسه ، لكى يتنبه ويصحو ويعرف قدر نفسه وقدر ربه ، حتى يستيقظ أو يباغته الأجل [٧٨] .

ومهما وصل العالم من تقدم علمى أو تكنولوجى ، فانه لم ولن يستطيع ابعاد الانسان عن خالقه ، لأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها .

هذه الفطرة حقيقة أجمع عليها الباحثون فى تاريخ الأمم والأديان والحضارات ، ذلك أنهم وجدوا أن الانسان منذ أقدم العصور يتعبد ، ويتدين ، ويؤمن باله ، ولذا يقول بعض المؤرخين .

« لقد وجدت فى التاريخ مدن بلا قصور ، ولا مصانع ، ولا حصون ، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد [٧٩] .

وهذا حديث جرىء لأحد الباحثين حيث يقول فيه « لقد

---

(٧٧) دائرة معارفة القرن العشرين لمحمد فريد وجدى مادة « اله » .

(٧٨) الايمان بالله ص ٧٥ .

(٧٩) الخصائص العامة للاسلام ص ١٦ د. يوسف القرضاوى - مؤسسة الرسالة .

نشأت فى أسرة لا تؤمن الا بفرضيات العلم المـادى ، ونتائج البحـوث التجـريبية ، ولا توقن بوجود شىء لا تتنـــاوله الحواس ، فقد كان والدى يرفض وجود عالم الغيب ، ويعتقد بأن المصادفة هى التى خلقت الكون ووهبت الحياة وأنشأت الانسان •

هذا الانسان كان فى نظره حيوانا بلغ هذه الدرجة من التطور والرقى العضوى والمعنوى بفعـل عوامل الطبيعـة ومتطلبات البيئـة وظروف المعيشة •

لقـد كانت الدنيا نهـاية مراده وغاية سـعيه ، يراها الفرصة الوحيـدة التى سنحت للانسان ، وليس بعـدها الا العـدم ، العـدم المحض الذى لا تمتـد اليه عين بصـير ، ولا تتعلق به همة رجل ايجابى يقدر ويدبر ••• لا يبالى بدين أو خلق أو نقـد ناقد ، لأن هـذه الـكلمات ما هى فى رأيـه الا رموز وهمية لقيم غريبة ، لم تنبثـق عن واقع الانسان ، ولم تراع حريته ولم تقـدر حاجاته البيـولوجية والنفسـية الأصـيلة •• ولكن لا أزال أذكر يوم وفاته ، ياله من يوم ! لقـد ترك مشـهده على صفحة نفسى أثرا لا يزول ، وبصمات لا تنمحى ، لقـد قدر لى أن أعود الى البيت ذات مساء ••• والدى يحتضر كان قد انكمش على نفسه وتضاءل كأنه يهرب ويختفى ويتملص من شـبح مرعب يلاحقه •• وأخيرا تمتم بصوت خفيض كالهمس ، كاستغاثة آتية من قاع بئر عميقة •• الله أنت ربى •• وبعدها أسـلم الروح ، ولا أدرى ماذا فعـل الله به » ؟ (٨٠) •

---

(٨٠) الايمان بالله فى ضوء العلم والعقـل ص ١٤ •

ان اقرار هذا الرجل فى نهاية حياته كانت وراءه الفطرة التى أعلنت كلمتها الخالدة ، ولكن بعد فوات الأوان وانطواء الأيام ، لقد كان الرجل مؤمنا بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، الا أنه كان يكتم الايمان فى مستقر وعيه ، ولا يفسح المجال لينطلق ويعبر عن نفسه ويهتف بهتافه لاستغراقه الشعورى فى حب الدنيا ، وولعه الشغوف فى لم فتات مائدة الأرض ، ان كلمة الايمان التى خرجت منه فى نهاية حياته لم تخرج من فراغ ، ولم تنبثق من عجز فى قواه وحيويته [٨١] .

ان هـذا الحنين الفطرى بوجـود الخالق ـ سبحانه ـ لا يختص بفطرة الانسان وبضميره الانسانى فقط ، لكنه يعم الحيـوانات بجميع أنواعها من أكبره الى أصغره ، بل يعم الشـجر وغيره من النبـاتات ، ويعم الحجـر وغيـره من الجمـادات ، فكل ما فى الكون يشعر أنه مخلوق ، وأن لـه خالقا ، فيسبح بحمده ويسجد له .

قال تعـالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شىء الا يسـبح بحمـده ولـكن لا تفقهـون تسبيحهم) [٨٢] .

ويقول جل شأنه (ويسبح الرعد بحمـده والملائكة من خيفتـه) [٨٣] .

---

(٨١) المرجع السابق ص ١٥ .

(٨٢) سورة الاسراء الآية رقم ٤٣ .

(٨٣) سورة الرعـد الآية رقم ١٣ .

ويقـول (ولله يسـجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) [٨٤] .

ويقول (أو لم يروا الى ماخلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون • ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون • يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [٨٥] .

ويقـول (ألم تـر أن الله يسـبح لـه من فى السموات والأرض ، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) [٨٦] .

ويقول (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) [٨٧] .

وهكذا تجد أن كل الكائنات تشعر أن لها خالقا أوجدها من العدم ، فتخضع لـه ، وتنجـذب اليـه (وما يعقلها الا العالمون) [٨٨] .

---

(٨٤) سورة الرعـد الآية رقم ١٥ .
(٨٥) سورة النحـل الآية رقم ٤٨ ـ ٥٠ .
(٨٦) سورة النـور الآية رقم ٤١ .
(٨٧) سورة الحج الآية رقم ١٨ .
(٨٨) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٣ ، ويراجـع الاسلام الدين الفطرى الأبـدى ص ٣٧ للشيخ معشر الطرازى الحسينى ـ دار عمر بن الخطاب ـ الاسكندرية ١٩٧٦ .

الالحاد دخيل على الفطرة

الالحاد وجد منذ أقدم العصور ، ومنطق الملاحدة على حد تعبير ابن سينا « ان الموجود هو المحسوس ، وأن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال » ، وقد تحدث الغزالى عن قدماء الملحدين فقال « هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون أبدا » (٨٩) .

والالحاد وان كان شاذا فى تاريخ البشرية ، فانه لم يكن قاصرا على بعض المذاهب الفكرية فى القديم والحديث، بل وجد لدى صنف من معطلة العرب فى العصر الجاهلى يقول عنهم الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل « أنكروا الخالق والبعث والاعادة ، وقالوا بالطبع المحى ، والدهر المفنى ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد فى قوله تعالى (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) اشارة الى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى ، وقصرا للحياة والموت على تركبها وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر « وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم

---

(٨٩) المنقذ من الضلال ص ١٠٥ ـ ١٠٩ الامام الغزالى تقديم د. عبد الحليم محمود .

الا يظنون » [٩٠] .

وإذا قفزنا فى ساحة الزمن قفـزة واسعة نجـد نزعة الالحاد تستولى على كثير من العقول فى هذا العصر ، فهذا هو « جان بول سارتر » زعيم الوجودية يصرح قائلا : « ان الوجودية المـلحدة والتى أمثلها أنا تعلن فى وضوح وجـلاء تامين أنـه اذا لم يكن الله موجودا ، فانه يوجد على الأقـل مخلوق واحد قد تواجد قبل أن تتجدد معـالمه وتبين ، وهذا المخلوق هو الانسان ، أو أنه كما يقول « هيـدجر » الواقع الانسانى ، بمعنى أن وجوده كان سابقا على ماهيته ، اننـا نعنى : ان الانسان يوجد أولا ، ثم يتعرف الى نفسه ، ويحتك بالعالم الخارجى ، فتكون له صفات ويختـار لنفسه أشياء هى التى تحدده ، بدأ ولم يكن شيئا ، وهو لن يكون شيئا الا بعد ذلك ، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه ، وهكذا لا يكون للانسانية شيء اسـمه الطبيعة البشرية ، لأنه لا يوجد الرب الذى يمثل وجود هذه الطبيعة ... ان الانسان يوجد ، ثم يريد أن يكون ، ويكون ما يريد أن يكونه بعـد القفـزة التى يقفزها الى الوجود ، والانسان ليس سـوى ما يصـنعه هو بنفسه ، هذا هو المبدأ الأول من مبادىء الوجودية » [٩١] .

---

(٩٠) سورة الجاثية الآية رقم ٢٤ ، وينظر : الملل والنحل للشهرستانى ٢٤٤/٢ ، العقيدة فى ضوء القرآن الكريم د. صلاح عبد العليم ص ٢٦ .

(٩١) من محاضرة لسارتر نقـلا عن العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ص ٢٤ .

ومن الاتجاهات الملحدة الاتجاه الشيوعى ، والذى يعبر عنه « لينين » فى خطاب ألقاه فى المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى قائلا : « اننا لا نؤمن بالاله ، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لايخاطبوننا باسم الاله الا استغلالا ومحافظة على مصالحهم، اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان والتى لا تتفق مع أفكارنا الطبقية ، ونؤكد أن هذا مكر وخداع » [٩٢] .

أما أصحاب الوضعية المنطقية فانهم يسيرون فى هذا الاتجاه الالحادى حيث يقول « هيوم » ، وهو من أبرز رجالها :

« لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا » [٩٣] .

تلك هى بعض النماذج للالحاد السافر الذى يحاول بشدة وعنف أن يطمس الفطرة الايمانية التى فطر الله الناس عليها .

والحقيقة أن هذه الشبه الالحادية لا تخرج عن مجال الظن والتخمين والتحريض والأوهام الباطلة ، بل ان هناك دوافع نفسية وأهواء بشرية رانت على قلوب الملحدين

---

(٩٢) الاسلام يتحدى ص ٤٠ وحيد الدين خاند ط ـ المختار الاسلامى .

(٩٣) المرجع السابق ص ٣٥ .

وعقولهم فحجبتهم عن معرفة الحق ، وطمست عندهم الفطرة السليمة رغم انتساب كثير منهم الى العلم · قال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [٩٤] ·

وعلى هؤلاء الملاحدة والزنادقة فى كل زمان ومكان يرد القرآن الكريم فى استفاضة ، وهو فى رده على هؤلاء لا يقتصر على مجرد الدعوى وحكاية المعتقد فحسب ولكنه يخاطب العقل ، ويستنهض الفكر ، ويعرض نظام الأكوان وما فيها من الاتقان والاحكام ، ويطالب العقول بالامعان والتفكير لتصل الى اليقين بصحة ما جاء به من العقائد ، وفى مقدمتها عقيدة الألوهية [٩٥] ·

والحقيقة أن الظاهرة الالحادية أوحت بها الظروف القاسية وخلقتها البيئات المجهدة ، وهى لا تمثل الفطرة وانما هى على العكس تحاول طمس هذه الفطرة بأى شكل من الأشكال ·

(ان الالحاد الذى يسود الغرب اليوم تنكره الحياة نفسها ويجد له القوم هناك أسوأ الآثار فى أنفسهم ، حتى لكأنه الداء العياء ، كلهم يشكون من هذا المرض ، ولكن لا يجدون الدواء الناجع له) ·

---

(٩٤) سورة الجاثية الآية رقم ٢٣ ·

(٩٥) يراجع : التفكير الفلسفى فى الاسلام ٦١/١ د· عبد الحليم محمود ط ـ الأنجلو المصرية ·

يشعر الغرب أن مدنيته تنقصها عناصر الحياة ، وأنها من أجل هذا لم تحقق لأهلها السعادة المنشودة ، والدين لا شك هو العنصر الذى يفتقده القوم فى مدنيتهم فلا يجدون له مكانا ، ويتلفتون الى مظان الدين فى أسى وفى حيرة ، انهم فى حيرة وقلق ، وستظل هذه الحال زمنا ، قد يطول وقد يقصر ، ولكن لابد فى نهاية الأمر من الرجوع الى حظيرة الدين » (٩٦) .

وكل انسان تخلو حياته من الدين لا يبيت مطمئن النفس ، لأنه يشعر أن جانبا من وجوده قد انفصل ، ولذلك يقول الفيلسوف « فييرتس جيفارت » « .. وانا لنعتقد أنه لا يوجد الا علاج واحد يداوى به هذا الداء العياء ، وذلك الدواء هو العقيدة الدينية ، فانها وحدها تستطيع أن تداوى العالم الانسانى مما ألم به » (٩٧) .

والحقيقة ان الصراع النفسى المرير القائم فى كل نفس تحللت من الدين حتما سينتهى آخر الأمر بالهزيمة ، ثم بعودة الدين من هذه الغربة الطويلة ، وتعود الفطرة الى مكانها .

فالدين ـ كما يقول الخادمى ـ هو « ربط القلب بالرب ، وتصديق بعظمته وقدرته الشاملة لكل الموجودات ، ومجازاته

---

(٩٦) قضية الالوهية بين الفلسفة والدين ١/٣٢ عبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربى .

(٩٧) قضية الالوهية ١/٣٣ .

فى دار الآخرة للعصاة ، ومكافأته للمطيعين ·· فاذا تأملنا وجدنا هــذا الاعتقــاد القلبى مانعا للانسان عن العطــلة ، وتضييع الأوقات والاسرافات ، وايقــاع الضرة بالغير ·· بل ان هذا الاعتقاد يسوق الى السعى والعمل ، والى المنفعة عامة وخاصة لهم ، لأنه اذا تفــكر المجازاة والمكافآت على مقتضى اعتقاده منع نفسه من سوء الأخلاق والأعمال ، بل ساق نفسه الى الأعمــال الحميدة ، والأوصاف الجميــلة ، والآداب المرضية ·· فثبت أن هذا الاعتقاد قوة مراقبة له ، ويؤدى وظيفة الاخطار دائما ·

وأما من لا يتدين بدين أصــلا ·· فأى شىء يمنــع هذا الشخص اذا عــزم على فعــل مخــل بالمنــافع العمومية أو الخصوصية عن ذلك الفعل السىء « سوى الاعتقاد والشريعة فالوجدان والناموس لا يمنع هــذا الشخص عن ارتــكاب القبائح ، لأن ما يستحسن وجدان بعض الأشخاص يستكرهه وجدان الآخر ، فالوجدان والناموس غير كافيين فى تــأمين هذه الخصوصيات ، وكذا قانون الهيئة الاجتماعية لا يمنع هذا الشخص عن فعل القبيح ، لأنه يمكن ستر قبائحه ، وانما الكافى فى تأمين هذا المقصد هو حسن الاعتقاد وربط القلب بالله ، واعتقاد وجود الآخرة والعذاب بنــار جهنم ، لأنه اذا اعتقد علمه تعالى لأفعاله القبيحة وقدرته على المجازاة منع نفسه فى كل القبــائح ، نعم قــد يرتكب المؤمن المعتقد فعلا قبيحــا باتبـــاع نفسه ولــكن اذا تــأمل قدرة الله وعدالته وما يترتب على ذلك الفعل من المجازاة الأخروية سارع الى

التوبة والاستحلال من صاحب الحق ·· فالديانة كافلة لمحافظة الانسانية واستراحة الهيئة الاجتماعية » (٩٨) .

اذن لا شيء أبدا يقوم مقام الدين في النفس الانسانية ، وليست هناك قوة تعدل قوة الدين في اقرار المجتمع على النظام الذي يرسمه الدين ، وتحدده شريعته انه سكينة النفس عندما تطل عليه أشباح الخوف من المرض والشيخوخة والموت والفناء .

وهل الملاحدة والهاربون من الدين أكبر من الحياة فلا ينالهم ما ينال الناس من آلام ومحن ؟ أم هم من طينة غير طينة البشر ، فلا يألمون بما يألم به الناس ؟ أم أنهم لا يمرضون ؟ ألا يهرمون ؟ ألا يموتون ؟ (٩٩) .

ان نزعة التدين في حقيقتها ـ كنزعة التملك والتعلم فطر الناس جميعا على الاشتمال عليها ، على تفاوت بينهم وتباين في قوة النزعات وضعفها ، ولا يمكن للانسان بحال من الأحوال أن يبيد هذا الشعور أو يمحوه ، لذا يقول الفيلسوف « أرجيست ساباتييه » عن الشعور النفسي بالقدرة الالهية « انه شعور ملازم لكل فطرة انسانية ، وهو شعور التبعية المطلقة لقانون الوجود العام ·· من الذي يستطيع أن يبعد عن نفسه هذا الشعور أليس حظنا من القدر قد رسم

---

(٩٨) العقائد الخيرية ص ٦٢ محمد وهبي الخادمي ـ دار احياء الكتب العربية ·· .

(٩٩) قضية الالوهية ١/ ٢٠ .

دون استشارتنا ، فقضى علينـا أن يكون وجـودنا فى زمان ومكان معينين ، وترك لنا ميراثا من الملكات والطبائع لم يكن لنـا فيه شىء من الاختيار ؟ .

بل اننا لا نجد فى أنفسنا ولا فى أية مجموعة أخرى من الكائنات الفردية السبب الكافى لوجودنا ، ولا غايته النهائية المعقولة ، ولذلك نجد أنفسنا مضطرين الى أن نبحث عن هذا السبب وهـذه الغـاية خارجا عنـا فى الوجود العـام ، وما التدين الا الاعتراف بهذه التبعية فى تسليم وخضوع ، هـذا الشعور بالتبعيـة هو الأساس التجـريبى للعقيـدة الالهية » [100] .

وهكذا نجد أن فى كل انسان حاسة روحية تتلمس النور دائما ، مهما غرق الانسان فى متـاهات الظلام ، فان هـذه الحاسة لا تغفـل أبدا عن وظيفتها ، حتى ولو كانت مغلوبة على أمرها ، تظل تنتظر الفرصة السانحة لها لكى تخرج الى الوجود ، حتى فى ظـلام الجاهلية ، وتسـلط العمـاية على العقول الغارقة فى جهلها ، استيقظ كثير من الناس على صوت الحق الكامن فى طبيعتهم ، فراحوا يحطمون الأصنام التى صنعوها بأيديهم ، وهـذا واحـد من أولئـك الأعراب الذين هاموا بعبادة الأصنام ، نراه وقد طاف بصنمه يوما فرأى ثعلبا قد بال على وجهـه فاضطرب وتوقع سخط هذا الاله وغضـبه عليه وعلى الحياة كلها ، وتوقـع شرا مستطيرا سيرمى به هذا الاله فى وجوه الناس ، لكنه تنبـه فجـأة الى

---

(١٠٠) الدين ص ١٢٤ للشيخ محمد عبد الله دراز .

حقيقة الأمر ، واستحيا من نفسه وخاف أن يستبد به الحمق مع هذا الحجر الأصم الذى لا يدفع عن نفسه عادية الثعالب ، ولا يمسح البول الذى لطخ وجهه ، ثم أقبل على هذا « الاله » فركله برجله ، ولم يتركه الا جذاذا ، وعندئذ ولاه ظهره وهو يقول :

أرب يبول الثعبان بوجهه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب !!

لقد كان من رحمة الله - تعالى - أن حفظ لعباده الفطرة التى فطرهم عليها ، تظل تعمل وتدرك ، حتى لو حاول الانسان تعطيلها ، فانها لا تفسد كلها ولا تتحطم أبدا ، بل يظل فيها الرمق (١٠١) .

ويذكر الدكتور عدنان النحوى أنه دار بينه وبين أحد الملاحدة المشككين حوار طريف ، حيث قال هذا المشكك : لو أن الله كتب فى السماء « لا اله الا الله محمد رسول الله » بخط كبير يقرأه جميع الناس ويبقى فى جميع العصور لآمن الناس كلهم ، فلم يناقشه الدكتور فى هذا التصور ولكن سأله قائلا « اذا كنت تريد أن يقرأها جميع الناس مع مختلف مستوياتهم وأجناسهم فى جميع العصور ، فبأى لغة تكتب ؟» فبهت الرجل ، فقال له الدكتور : نعم ان الفكرة جميلة ، والله سبحانه وتعالى كتبها ، ولكن كتبها بلغة يفهمها جميع الناس

---

(١٠١) قضية الألوهية ١/٦١ .

مع مختلف مستوياتهم وأجناسهم فى جميـع العصور ، ان الله ـ سبحانه ـ كتبها بلغة واضحة ليست فى السماء وحدها ولكن فى الأرض وفى نفسـك وفى كل مكان ، انهـا الآيات المبثوثة فى هذا الكون الممتد ، انها أحداث الحياة انها حركة الريح ونزول المطر ، انها فى الموت فى الخصوبة ، فى الربيع، فى الشتاء ، انها فى كل حركة وسكون ، يقول تعالى :

(الم تـروا أن الله سخر لـكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنه . ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (١٠٢) .

فان ما طلبت مكتوب حيثما ملت وتوجهت ، انه مكتوب ولكن المهم من يقـرأ .

فأطرق الرجل ثانية وقال : صدقت .

ان الكون كله ، ان الانسان نفسـه ، ان التـاريخ ، ان هذا كله كتاب مفتوح كل كلمة فيه تقول « لا اله الا الله وحده لا شـريك لـه ، لـه الملك ولـه الحمـد وهو على كل شىء قـدير » (١٠٣) .

والعجيب للملاحدة أنهم يقولون : اننـا لا نؤمن الا بما أدركته الحواس ، وهم يناقضون أنفسهم ، والواقع يكذبهم، فهم مثلا يؤمنون بالجاذبية وقوانينها ولم يشاهدوها ، ولم تدركها حواسهم ، ويؤمنون بالعقـل ولم يروه ، وانما رأوا آثاره ، ويؤمنون بالمغناطيسية ، وقد شاهدوا فقط انجذاب الحـديد الى الحـديد دون رؤية الجاذب ويؤمنـون بوجود الألكترون والنيترون ، وهم لم يروا ألـكترونا أو نيترونا ،

---

(١٠٢) سورة لقمـان الآية رقم ٢٠ .

فواقع الأمر يدل على أن الملاحدة يؤمنون بأشياء لم تدركها حواسهم ، ولكن آثارها هى التى دلتهم عليها ، وهم فيها على يقين لا يخالطه شك ، ومعنى هذا أن كثيرا من الحقائق الموجودة يؤمن بها هؤلاء الملاحدة لاحساسهم بآثارها دون رؤيتها أو احساسهم بذاتها ، والحقيقة أن الحواس تعطينا - أحيانا - صورا كثيرة وهمية ، ولكننا نعرف الحقيقة - بواسطة العقل وحده ، فمثلا العصا المغمورة فى الماء تبدو كأنها مكسورة وكذلك الخطوط المتوازية التى تفصل بينها خطوط تبدو غير متوازية ، والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء ، فهذه الصور وأمثالها تبين لنا بوضوح أن الحواس لولا العقل لأعطتنا أخطاء بدلا من الحقائق ، ولولا العقل لم تكن لنا معرفة [١٠٤] .

وبناء على ذلك : فان الملاحدة حينما يحصرون المعرفة فى الحواس يكونون غير منطقيين مع أنفسهم ، وهم اذن غير منطقيين فى عدم ايمانهم بالله ، لأنه لم تدركه حواسهم ، مع أن آثار الله واضحة جلية فى الكون كله ، والعقل ببداهته يحكم بأن الله خالق المادة ليس بمادة ، فالمادة لا تخلق مادة ، واذا كان منتهى ادراك الحواس المادة المحسوسة فقط ، فلن يكون الله محل ادراكها .

ومن الطريف فى أجوبة الفطرة على مثل هذه الاتجاهات

---

(١٠٣) التوحيد ص ١١٨ .

(١٠٤) الله جل جلاله ص ٩ سعيد حوى - دار الطباعة الحديثة .

الملحدة نكتة حدثت فى احدى المدارس الابتدائية ، حينما وقف المعلم يقول لطلاب السنة السادسة : أترونى ؟ فقالوا : نعم ، قال : اذن فأنا موجود ، ثم قال : أترون السبورة ؟ قالوا : نعم ، قال : اذن فالسبورة موجودة ، قال : أترون الطاولة ؟ قالوا : نعم ، قال : اذن فالطاولة موجودة ، ثم قال : أترون الله ؟ قالوا : لا . قال : اذن فالله غير موجود ، فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال : أترون عقل الاستاذ ؟ قالوا : لا ، قال : فعقل الاستاذ غير موجود (١٠٥) .

والظاهر أن هذا الوهم الذى يعيش فيه كثير من الكافرين قديم قدم الكفر كما أنه أثر عن أمراض فى النفس والقلب ، وليس أثرا عن فكر سوى أو عقل مستقيم أو انصاف فى تحقيق (١٠٦) .



---

(١٠٥) المرجع السابق ص ١٠ .

(١٠٦) نفسه ص ١١ .

العلم والايمان

لم يكن العلم خصما للايمان فى يوم من الأيام ، وانما هو دليل يهدى اليه ، وقد هدى العلم كثيرا من العلماء الى أن فى الكون قوة عليا تدبره وتنظمه وترعى كل شىء فيه بمقدار وحساب ، فالعالم أقدر من غيره على استبانة ما فى هذا الكون من تناسق وترابط واتقان واحكام ، يتجلى فى كل خلية من خلايا أحيائه وفى كل ذرة من ذراته ، ولا عجب اذا قرأنا لكثير من العلماء فى الطبيعة والكيمياء والفلك ، والأحياء وغيرها - شهادات ناصعة اعترفوا فيها بوجود الخالق - سبحانه وتعالى - وهى شهادات تقطع ألسنة الذين يتخذون من العلم سلاحا يحاربون به الدين ، وليس أدل على ذلك من قول العالم الانجليزى « هرشل » :

« كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين الدافعة على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهاية ، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده » (١٠٧) .

وكتب « هربرت سبنسر » فى رسالته فى التربية قائلا : « العلم يناقض الخرافات ، ولكنه لا يناقض الدين نفسه ، يوجد فى كثير من العلم الطبيعى الشائع روح الزندقة ، ولكن العلم الصحيح الذى فات المعلومات السطحية ، ورسب فى أعماق الحقائق براء من هذه الروح ، العلم الطبيعى

---

(١٠٧) الايمان والحياة ص ٣٢٨ .

لا ينافى الدين ، والتوجه الى العلم الطبيعى عبادة صامتة واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التى نعانيها وندرسها ثم بقدرة خالقها ، فليس ذلك التوجه تسبيحا شفهيا ، بل هو تسبيح عملى ، وليس باحترام مدعى ، وانما هو احترام أثمرته تضحية الوقت والتفكير والعمل ، وهذا العلم لا يسلك طريق الاستبداد فى تفهيم الانسان استحالة ادراكه كنه السبب الأول وهو « الله » ولكنه ينهج بنا النهج الأوضح فى تفهيمنا الاستحالة بابلاغنا جميع الحدود التى لا يستطاع اجتيازها ثم يقف بنا فى رفق وهوادة عند هذه النهاية ، وهو بعد ذلك يرينا ـ بكيفية لا تعادل ـ صغر العقل الانسانى ازاء ذلك الذى يفوت العقل » (١٠٨) .

ويضرب « سبنسر » الأمثلة على ذلك فيقول « ان العالم الذى يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأكسوجين والأيدروجين بنسبة خاصة بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئا آخر غير الماء ـ يعتقد عظمة الخالق وقدرته وحكمته ، وعلمه الواسع بأشد وأعظم وأقوى من العالم الطبيعى الذى لا يرى فيها الا أنها قطرة ماء فحسب ، وكذلك العالم الذى يرى قطعة البرد وما فيها من جمال الهندسة ودقة التصميم ، لا شك أنه يشعر بجمال الخالق ودقيق حكمته أكثر من ذلك الذى لا يعلم عنها الا أنها مطر تجمد من شدة البرد » (١٠٩) .

---

(١٠٨) الايمان والحياة ص ٣٢٨ .

(١٠٩) المرجع السابق ص ٣٢٨ .

ومن هنا نرى أن التجارب والأبحاث العلمية تعد من أقوى الأدلة التى لا يسع الانسان ازاءها الا الايمان بوجود الله وحكمته كما يقول المفكر المعروف « أنيشتاين » :

« ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون ، هو أقوى وأنبل حافز على البحث العلمى » .

ويتفق مع « أنيشتاين » العالم الانجليزى « كلفن » حيث يقول : « يتعذر على الانسان أن يتصور بداية الحياة أو استمرارها دون أن تكون هناك قوة خالقة مسيطرة ، وانى لأعتقد من صميم نفسى أن بعض العلماء فى أبحاثهم الفلسفية عن الحيوان قد أغضوا اغضاء عظيما مفرطا عما فى نظام هذا الكون من حجة دامغة ، فان لدينا فيما حولنا براهين قوية قاطعة على وجود نظام مدبر وخبير ، وهى براهين تدلنا بواسطة الطبيعة على ما فيها من أثر ارادة حرة ، وتعلمنا أن جميع الأشياء الحية وغير الحية ـ تعتمد على خالق واحد أبدى » (١١٠) .

ومن خلال أقوال بعض العلماء يتبين لنا أن الله ـ عز وجل ـ قد خلق الانسان طلعة يجرى وراء المجهول ، ويلهث خلف المستور بقصد استجلاء الأسرار فى الكون حتى تظهر الحقيقة جلية ناصعة .

ونختم هذا المبحث بهذه السطور للامام ابن القيم حيث يقول : « تأمل حال العالم كله : علويه وسفليه ، بجميع

---

(١١٠) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ص ٤٩ .

أجزائه ، تجده شاهدا باثبـــات صانعه وفاطره ومليـكه ، فانكار صــانعه وجحــده فى العقول والفطر بمنزلة انـكار العالم وجحده لا فرق بينهما ، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعــال على الفعــل والصانع على أحوال مصنوعه عنــد العقول الزاكية المشرقة العلوية ، والفطر السليمة أظهــر من العكس ، فالعارفون بربهم أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعــاله وصنعه ، اذا استــدل الناس بصفته وأفعــاله عليه ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق » (١١١) ٠

ومن خلال هذا البحث نخرج بنتائج من أهمها :

١ ـ فى داخــل كل انسان احســـــاس فطــرى بوجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ حتى ولو كان ملحــدا ، ويظهر هــذا الاحساس ـ غالبــا ـ فى أوقات الشدة وأمام الكوارث والأعاصير والمحن ٠٠٠

٢ ـ الاحساس الفطــرى الكامن فى أعمــاق النفس أعاد الكثير من المفــكرين الى حظيرة الايمان بعد رحــلة الشك والانكسار ٠

٣ ـ الاسلام هو فطرة الله التى فطر النــاس عليها ، وليس المراد بولادة الانسان على الفطرة الاسلامية أنه يولد عاملا بشريعتها ، ولــكن المراد أن كــل مولود يميــل بطبيعته الى الاسلام ، ولكن أبويه يحملانه على الدين الذى يعتنقونه ٠

---

(١١١) مدارج السالكين لابن القيم ٣٢/١ ط ـ المنــار مصر ٠

٤ - واذا كان الله - عز وجل - قد فطر الناس على الايمان به ، فقد فطرهم على توحيده ، لأن الاقرار بالايمان بالله - تعالى - اقرار بتوحيده •

٥ - أسماء الله الحسنى تدل دلالة واضحة على أن التوحيد هو قضية الفطرة •

٦ - القرآن الكريم يخاطب فطرة الانسان ، ويبين لنا أن هناك جانبا من فطرة الانسان يظل سليما حتى لو انحرفت الفطرة ، وتغلب عليها الفساد « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » •

٧ - الالحاد والكفر دخيلان على الفطرة الايمانية التى فطر الله الناس عليها ، ومهما كثرت التيارات الالحادية ، فان الفطرة الانسانية أقوى من هذه المعاول التى تعمل على طمسها •

٨ - سقوط حجج الملحدين الذين لا يؤمنون الا بالمحسوس، فقد ثبت أنهم يؤمنون بأشياء لا يرونها ولا يلمسونها وانما يدركون آثارها فقط كالنيترون والألكترون والجاذبية والهواء ••• مما يبين أنهم متناقضون مع أنفسهم وأن الحادهم قائم على الجهل ، وقد يكون راجعا الى الأهواء والرغبات المادية •

٩ - العلم ليس خصما للايمان ، وانما هو هاد له ، ودال عليـه .

والله الموفق ،

★ ★ ★

دكتور
ابراهيم عبد الشافى ابراهيم

أهم المراجع

١ - الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان - المختار الاسلامى - ط ٧ - ١٩٧٧ ٠
٢ - الاسلام دين الفطرة - عبد العزيز جاويش - الزهراء للاعلام العربى ٠
٣ - الإسلام فى عصر العلم - محمد أحمد الغمراوى - دار الكتب الحديثة - مصر ١٩٧٨ ٠
٤ - الايمان والحياة - دكتور يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة - ط ٩ - ١٩٩٠ ٠
٥ - الايمان بالله فى ضوء العلم والعقل - محمد رشدى عيد - دار القادرى - ط ١ - ١٩٩٢ ٠
٦ - الله جل جلاله - سعيد حوى - دار الطباعة الحديثة - مصر ٠
٧ - تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ٠
٨ - تفسير ابن كثير - ط ٠ عيسى الحلبى ٠
٩ - تفسير الكشاف للزمخشرى - ط ٠ مصطفى الحلبى ٠
١٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - دكتور محمد السيد طنطاوى - مطبعة السعادة ط ٣ - ١٩٨٩ ٠
١١- التوحيد لأبى منصور الماتريدى - تحقيق دكتور فتح الله خليف - دار المشرق - بيروت - ١٩٧٠ ٠
١٢- التوحيد وواقعنا المعاصر - دكتور عدنان على رضا

النحوى ـ دار النحوى للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط ٢ ـ ١٩٩٣ ٠

١٣ـ الخصـائص العـامة للاسـلام ـ دكتور يوسـف القرضاوى ـ مؤسسة الرسالة ـ مصر ٠

١٤ـ دلائل التوحيد ـ محمد جمال الدين القاسمى ـ جمعية النشر والتأليف ـ مصر ٠

١٥ـ العقـائد الخيرية ـ محمد وهبى خادمى ـ دار احياء الكتب العربية ٠

١٦ـ العقيـدة فى ضـوء القرآن الـكريم ـ دكتور صلاح عبد العليم ـ مكتبة الأزهر ـ ط ١ ـ ١٩٨٢ ٠

١٧ـ قـرة العين فى شرح حـكم ابن عطـاء الله السكندرى للشـيخ أحمد بن زروق ـ تحقيـق دكتور محمود بن الشريف ـ صيدا ـ بيروت ٠

١٨ـ لسان العرب لابن منظور ـ ط ـ دار المعارف ـ مصر ٠

١٩ـ مدارج السالكين لابن القيم ـ ط ـ المنـار ٠

٢٠ـ مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ـ ط ـ صبيح ٠

٢١ـ المغنى فى أبواب التوحيـد والعدل للقاضى عبد الجبار ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ٠

٢٢ـ المنقـذ من الضـلال للامام الغزالى ـ تقـديم دكتور عبد الحليم محمود ـ دار الكتب الحديثة ٠

